(المحافظة على الأسرة المسلمة في البرازيل)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأُسْرَةَ نِعْمَةً تُصَانُ، وَمَوَدَّةً تُسْتَدَامُ، وَرَكِيزَةً تُبْنَى عَلَيْهَا الْأُمَمُ وَالْأَوْطَانُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، خَيْرُ زَوْجٍ وَخَيْرُ أَبٍ وَخَيْرُ مُرَبٍّ عَرَفَتْهُ الدُّنْيَا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ، وَبَعْدُ:

فَالْأُسْرَةُ هِيَ الْخَلِيَّةُ الْأُولَى وَالضَّرُورِيَّةُ لِبَقَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَهِيَ الْمَحْضَنُ الطَّبِيعِيُّ الدَّافِئُ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَهِيَ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ الْمَشْرُوعُ لِاسْتِمْرَارِ النَّوْعِ الْبَشَرِيِّ وَبَقَائِهِ لِيَعْمُرَ الْأَرْضَ، وَيَقُومَ بِخِلَافَةِ اللَّهِ فِيهَا.

فَالْأُسْرَةُ هِيَ الْكَهْفُ الْوَحِيدُ الْحَلَالُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ تَكْوِينَهَا دِينٌ، وَالْحِفَاظَ عَلَيْهَا إِيمَانٌ، وَمُكَافَحَةَ الْأَوْبِئَةِ الَّتِي تُهَدِّدُهَا جِهَادٌ، وَرِعَايَةَ ثِمَارِهَا مِنْ بَنِينَ وَبَنَاتٍ جُزْءٌ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ.

وَتَبْدَأُ الْأُسْرَةُ أَوَّلَ مَا تَبْدَأُ بِزَوْجَيْنِ، رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، يَرْبِطُ بَيْنَهُمَا رِبَاطٌ مُقَدَّسٌ هُوَ «الزَّوَاجُ الشَّرْعِيُّ الْمُعْلَنُ، الَّذِي يُبَارِكُهُ اللَّهُ، وَيُقَدِّرُهُ النَّاسُ، وَتَقُومُ عَلَى أَسَاسِهِ حُقُوقٌ وَوَاجِبَاتٌ».

وَهَذَا الزَّوَاجُ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ أَهَمَّ عَنَاصِرِ اخْتِيَارِ طَرَفَيْهِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ الدِّينُ وَالْخُلُقُ، فَأَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ρ: إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ρ فِي الْمَرْأَةِ: تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ.

وَمَعْنَى: «تَرِبَتْ يَدَاكَ»، الْمُرَادُ بِهَا الْحَثُّ وَالتَّحْرِيضُ؛ فَالنَّبِيُّ ρ يَحُثُّ عَلَى الظَّفَرِ وَالْفَوْزِ بِصَاحِبَةِ الدِّينِ.

وَبَعْدَ بِنَاءِ الْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ لَابُدَّ مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى هَذِهِ الْأُسْرَةِ وَتَحْصِينِهَا وَتَقْوِيَتِهَا حَتَّى تَكُونَ أُسْرَةً صَالِحَةً نَافِعَةً تَقُومُ بِدَوْرٍ مُؤَثِّرٍ فِي الْمُجْتَمَعِ بَلْ وَالْعَالَمِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ:

أَوَّلًا: الزَّوَاجُ الْمُسْتَقِرُّ: وَنَعْنِي بِهِ اسْتِقْرَارَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، فَإِنَّ كُلَّ نَجَاحٍ وَتَقَدُّمٍ وَعُمْرَانٍ لَا يَكُونُ فِي بِيئَةٍ مُسْتَقِرَّةٍ مُطْمَئِنَّةٍ، وَهَذَا الزَّوَاجُ الْمُسْتَقِرُّ يَقُومُ عَلَى أَرْكَانٍ ثَلَاثَةٍ: السَّكَنُ، الْمَوَدَّةُ، الرَّحْمَةُ، ذَكَرَهَا اللَّهُ لَنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الرُّوم: ٢١].

السَّكَنُ: وَمَعْنَاهُ الِاسْتِقْرَارُ النَّفْسِيُّ، فَتَكُونُ الزَّوْجَةُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِرَجُلِهَا لَا يَعْدُوهَا إِلَى أُخْرَى، كَمَا يَكُونُ الزَّوْجُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِامْرَأَتِهِ لَا تُفَكِّرُ فِي غَيْرِهِ.

وَمَعْنَاهُ أَيْضًا اطْمِئْنَانُ الْمَرْءِ إِلَى أَنَّهُ مَعَ شَخْصٍ يَتَقَوَّى بِهِ، وَيَسْتَرِيحُ مَعَهُ، وَيَهْدَأُ فِي كَنَفِهِ عِنْدَ الْقَلَقِ، وَيَلْتَمِسُ الْبَشَاشَةَ مَعَهُ عِنْدَ الضِّيقِ، وَالسَّنَدَ عِنْدَ الْحَاجَةِ.

أَمَّا الْمَوَدَّةُ: فَهِيَ شُعُورٌ مُتَبَادَلٌ بِالْحُبِّ، يَجْعَلُ الْعَلَاقَةَ قَائِمَةً عَلَى الرِّضَا وَالسَّعَادَةِ، فَمِمَّا يُقَوِّي عِلَاقَةَ الزَّوْجَيْنِ وَيَجْعَلُ السَّعَادَةَ تَمْلَأُ حَيَاتِهِمَا أَنْ يُظْهِرَ الزَّوْجَانِ مَحَبَّتَهُمَا لِبَعْضِهِمَا، وَقَدْ فَعَلَ النَّبِيُّ ذَلِكَ لَمَّا سُئِلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ.

أَمَّا الرَّحْمَةُ: فَهِيَ الرَّأْفَةُ وَالشَّفَقَةُ وَحُسْنُ الْمُعَامَلَةِ وَضَرُورَةُ الْمُعَاوَنَةِ.

وَبِذَلِكَ يَسْتَقِرُّ الزَّوَاجُ وَتَثْبُتُ هَذِهِ الْأُسْرَةُ، وَعِنْدَهَا تَنْطَلِقُ الْأُسْرَةُ لِلْعَطَاءِ وَالْبِنَاءِ، وَسَاعَتَهَا يَأْتِي الْأَوْلَادُ فِي بِيئَةٍ مُسْتَقِرَّةٍ صَالِحَةٍ.

فَأَيُّمَا بَيْتٍ تَأَسَّسَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ الرَّبَّانِيَّةِ إِلَّا وَأَصْبَحَ جَنَّةً وَسَعَادَةً لِأَصْحَابِهِ.

ثَانِيًا: حُسْنُ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ

هَذِهِ الْأُسْرَةُ الْمُسْتَقِرَّةُ نَتِيجَةً لِاسْتِقْرَارِهَا سَتَبْدَأُ فِي الِاتِّسَاعِ شَيْئًا فَشَيْئًا حِينَ تُرْزَقُ بِالْأَوْلَادِ، وَوُجُودُ الْأَوْلَادِ هَدَفٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ أَهْدَافِ الْأُسْرَةِ وَأَهْدَافِ الزَّوَاجِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) [النحل: ٧٢].

وَمِنَ الْمُهِمِّ أَنْ يُدْرِكَ الزَّوْجَانِ الْغَايَةَ مِنَ الْإِنْجَابِ، فَلَيْسَتِ الْغَايَةُ إِيجَادَ أَجْيَالٍ تُحْسِنُ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَالْمَتَاعَ، إِنَّمَا الْغَايَةُ إِيجَادُ أَجْيَالٍ تُحَقِّقُ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ، وَيَتَعَاوَنُ الْأَبَوَانِ عَلَى ذَلِكَ بِتَرْبِيَةِ ذُرِّيَّةٍ سَلِيمَةِ الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ، شَرِيفَةِ السُّلُوكِ وَالْغَايَةِ.

وَتَدَبَّرْ مَوْقِفَ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْأَوْلَادِ، إِنَّهُ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ. رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ» [إِبْرَاهِيمَ].

إِنَّهُ يُرِيدُ أَوْلَادًا يَرْكَعُونَ لِلَّهِ وَيَسْجُدُونَ! لَكِنْ مَا أَقْبَحَ أَنْ يُنْتِجَ الزَّوْجَانِ ذُرِّيَّةً لَا يُبَالِيَانِ بِهَذِهِ الذُّرِّيَّةِ، وَلَا يَهْتَمَّانِ أَيَحْيَا أَوْلَادُهَا كُفَّارًا أَمْ يَحْيَوْنَ مُؤْمِنِينَ؟

وَتَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ فِي مُجْتَمَعٍ غَالِبِيَّتُهُ غَيْرُ مُسْلِمَةٍ فِيهَا تَحَدِّيَاتٌ كَبِيرَةٌ وَكَثِيرَةٌ، وَهَذِهِ التَّرْبِيَةُ مُهِمَّةٌ صَعْبَةٌ، يُسْأَلُ عَنْهَا الْوَالِدَانِ مَعًا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ

مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا».

وَمَعَ ذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ تَنْشِئَةِ الْأَوْلَادِ تَنْشِئَةً إِسْلَامِيَّةً، وَذَلِكَ:

بِمُحَافَظَةِ الْآبَاءِ عَلَى الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ أَوْلَادِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ مَسْجِدٌ قَرِيبٌ فَالصَّلَاةُ جَمَاعَةً فِي الْبَيْتِ.

قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَالِاسْتِمَاعُ لِلتِّلَاوَةِ ترغيبا وتشجيعا، لا ترهيبا وإكراها.

اجْتِمَاعُ الْأُسْرَةِ عَلَى الطَّعَامِ، وَالتَّسْمِيَةُ قَبْلَ الطَّعَامِ، وَالْأَكْلُ بِالْيَمِينِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

إِرْسَالُ الْأَوْلَادِ إِلَى الْمَسْجِدِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَتَعْوِيدُهُمْ وَتَحْبِيبُهُمْ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

تَعْلِيمُ الْأَطْفَالِ الْحِرْصَ التَّامَّ عَلَى الطَّعَامِ الْحَلَالِ، وَإِنْ كَانُوا فِي مَدْرَسَةٍ، فَاحْرِصْ عَلَى إِخْبَارِ الْمَدْرَسَةِ بِأَنَّ أَطْفَالَكَ مُسْلِمُونَ، وَعِنْدَهُمْ قُيُودٌ غِذَائِيَّةٌ، مِثْلُ مَنْعِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَمُشْتَقَّاتِهِ.

أَنْ تُرَسِّخَ فِي أَذْهَانِهِمْ عَدَمَ تَقْلِيدِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي اللِّبَاسِ، أَوْ طَرِيقَةِ الْكَلَامِ، أَوْ قَصِّ الشَّعْرِ، وَنَحْوِهِ مِنَ الْمَظَاهِرِ الْعَامَّةِ الَّتِي تُخَالِفُ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ.

خُصُوصًا الْبَنَاتِ، لَابُدَّ أَنْ نُقْنِعَهُنَّ بِالْحِجَابِ وَالزِّيِّ الشَّرْعِيِّ لِلْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ بَعْدَ الْبُلُوغِ، وَصِفَتُهُ: لَا يَكْشِفُ: يَعْنِي يُغَطِّي جَمِيعَ جَسَدِهَا عَدَا الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...} (النُّور: 31).

لَا يَصِفُ: أَنْ لَا يُحَدِّدَ أَجْزَاءَ الْجِسْمِ وَيُظْهِرَ مَفَاتِنَهُ.

لَا يَشِفُّ: أَنْ لَا يُظْهِرَ مَا تَحْتَهُ لِرِقَّتِهِ وَشَفَافِيَّتِهِ.

وَعَنْ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ρ أَنَّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ نِسَاءً كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَمَعْنَى «كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ» أَنَّ ثِيَابَهُنَّ لَا تُؤَدِّي وَظِيفَةَ السَّتْرِ، فَتَصِفُ مَا تَحْتَهَا لِضِيقِهَا أَوْ لِرِقَّتِهَا.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ أُسَرَ الْمُسْلِمِينَ وَذُرِّيَّاتِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ رَبِّ لَنَا أَوْلَادَنَا، وَأَصْلِحْ بُيُوتَنَا، وَثَبِّتْنَا عَلَى الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ إِلَى يَوْمِ نَلْقَاكَ.

كتبها الشيخ: محمد محمد إسماعيل محمد ملكة، مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.